تمهيد

عكف القائمون على مشروع المستقبل طوال الأعوام الأربعة المنصرمة على تركيز اهتمامهم نحو الأثر الذي تحدثه مجموعة من القوى الفاعلة التي دأبت على إدخال تحولات في النظام الأمريكي للتعليم العالي. فقد عملت هذه القوى على تقوية التنافس فيما بين المؤسسات التقليدية، وعلى التوسع السريع في المؤسسات الربحية والمؤسسات الافتراضية الجديدة، والتقنية وأثرها في الطريقة التي يحدث التعلم بها، ناهيك عن عولمة الكليات والجامعات، والتحول نحو إعادة هيكلة التعليم العالي باعتباره سوقاً من الأسواق وليس قطاعاً عاماً يخضع لتدخل الدولة. بيد أن الذي حفّزنا لنبذل جهوداً مكثفة لفهم هذه القوى هو ذاك القلق الذي بدأ يساورنا إزاء التعليم العالي في أمريكا وخشيتنا بأن هذا القطاع برغم نجاحه وإحساسه بالرضا عن ذاته سوف يعجز عن فهم سرعة وأهمية التغييرات الحاصلة، ويندفع نحو هيكليات جديدة وغير مدروسة يكون من شأنها أن تقتطع أجزاءاً من الأغراض التقليدية للتعليم العالي.

وفي هذا الإطار عمل القائمون على هذا المشروع على نشر مقالات عديدة تركز كل واحدة منها على قوة واحدة من قوى التغيير الحاصل حالياً. وعملنا نحن أيضاً، على تقديم الدليل على هذا التغيير كما عرضنا اهتماماتنا إزاء الأثر المحتمل للعديد من الاجتماعات التي عقدت في هذه البلاد وخارجها. وما يبشر بالخير أن عدداً متزايداً، برغم قلته حالياً، من أساتذة التعليم العالي قد بدأوا يلفتون الأنظار إلى الأخطار المحدقة، ويعملون على رفع مستوى الاهتمام بضرورة التخطيط بدلاً من الاندفاع على غير هدى.

لقد شعرنا ونحن نعمل في هذا الكتاب أنه من الضروري جداً الذهاب إلى ما هو أبعد وأكثر مما نشر حتى هذا التاريخ، ذلك أننا أردنا لهذا الكتاب:

أن يضع بين أيدي المهتمين تحليلاً لأكثر قوى التغيير أهمية. فلم نكتف بمجرد السرد بل قدمنا أكبر قدر ممكن من البيانات المتاحة حول مدى التغيير وسرعته وأثره فضلاً عن تقديم الأثر التراكمي لهذه القوى مجتمعة.

أن يكون مجالاً لاقتراح سياسات نجدها ضرورية لتكوين سوق ذكي وعملي للتعليم العالي. لم نركز اهتمامنا على كيفية اجتناب سوق للتعليم العالي – فهو موجود فعلاً. لكن المسألة تكمن فيما إذا أمكن وضع هيكلية لهذا السوق نابعة من تفكير عميق ومدروس، أم نتركه مدمراً عن غير قصد.

أن يكون أيضاً مناسبة لاقتراح استراتيجيات لمواجهة هذه البيئة المتغيرة يمكن للمؤسسات أن تتبناها كل على حدة أو يتبناها التعليم العالي بأكمله.

أن يكون علاوة على ذلك دعوة لتجديد التركيز على الأغراض العامة للتعليم العالي التي تعرضت لأخطار التغييرات الحاصلة. ومن هذا المنطلق فإن أهدافنا في هذا الكتاب عديدة. بداية، نحن نريد لهذا الكتاب أن يكون دعوة لليقظة نوجهها إلى قادة كلياتنا وجامعاتنا إذ ينبغي عليهم أن يقوموا بدور قيادي يتصف بالمهارة وغزارة العلم والجرأة ليدخلوا إلى مؤسساتهم التغير البنّاء، كما يتعين عليهم أن يكونوا إلى جانب ذلك مشاركين فاعلين في الجهود المبذولة لخلق هيكلية جديدة لنظام التعليم العالي ذات توجه نحو السوق.

ويتمثل هدفنا الثاني في تزويد صناع السياسات – حكام الولايات وأعضاء السلطة التشريعية والمفوضين وأعضاء مجالس الإدارة على مستوى الولاية وأعضاء الكونغرس والإدارة على المستوى الاتحادي – بالحلول الخاصة بالسياسات التي برزت على الصعيد العالمي في مجال إعادة هيكلة التعليم العالي، ذلك أنه في حال عدم وجود تقدم ظاهر وواضح نحو نظام يتسم بالمساءلة ويكون أكثر استجابة، فإن ثمة خطراً بأن ينصرف صناع السياسات هؤلاء وفق الأفكار المتوفرة أمامهم دون أن يجروا تحليلاً دقيقاً لها. وهناك خطر آخر أيضاً يتمثل في لجوئهم بسبب ما يصيبهم من إحباط إلى التصرف دون مشاركة قادة التعليم العالي.

أما الهدف الثالث فهو محاولة إقناع كلتا الجماعتين – ونقصد بذلك القادة السياسيين والقادة الأكاديميين – إضافة إلى القادة المدنيين المهتمين بما في ذلك قادة الأعمال والمجتمعات بأن لدى المجتمع الأمريكي مصلحة كبرى في الحفاظ على الأغراض العامة للتعليم العالي وتوضيحها وتعزيزها. فقد وجدنا هذه الأغراض تتلاشى تدريجياً. فالأمريكيون الآن بحاجة لأن يروا أن التعليم العالي ليس مصلحة خاصة. فعندما يتخرج طالب من ذوي الدخل المحدود من الجامعة، وعندما يحل باحث لغزاً غامضاً محيراً، وعندما يحدث نقاش عميق التفكير في الجامعة حول قضية معقدة تشغل تفكير المجتمع، فإن المجتمع بأكمله يستفيد من ذلك، وليس الطالب وحده، أو الباحث أو الجماعة التي شاركت بالمناقشة.

وأخيراً، فإننا نأمل أن يكون هذا الكتاب دليلاً مفيداً لطلبة التعليم العالي في هذه القضايا الراهنة. فنحن الآن في غمرة تحولات لم نشهد لها مثيلاً في حياتنا. وما هذا الكتاب إلا محاولة أولى لتأريخ التغيير وتحليل أثره واقتراح الحلول ومن المعتاد أن تؤلف كتب من هذا النوع في مرحلة متأخرة، أي بعد أن يغيب الدخان ويستطيع المؤلفون أن يروا بوضوح ويقين ما الذي حصل. لكن هدفنا هنا ليس تأريخ التغيير بل التأثير فيه.

إن طبيعة وهيكلة التعليم العالي أمر هام جداً – بل أكثر أهمية من أي وقت مضى. وليس الوقت مناسباً لنقف جانباً مكتوفي الأيدي ننتظر لنرى ماذا سيحصل.

شكر وتقدير

ليس سهلاً علينا أن نتوجه بالشكر والتقدير لكل من ساهم في هذا الكتاب وعمل على إخراجه إلى حيز الواقع. لقد قضينا أربعة أعوام نتقصى خبرة الاصدقاء والزملاء في الكليات والجامعات والروابط والهيئات العلمية في العالم قاطبة. فكل حديث أجريناه وكل مقالة أو كتاب أو تقرير قرأناه ساعد في تكوين فرضياتنا ودعم هذه الفرضيات بالبراهين والأدلة. ولكن هناك أشخاص يتوجب علينا أن نعرب لهم عن شكرنا كل على حدة.

نذكر بكثير من العرفان والتقدير لورندا كستوديو Laurinda Custodio التي تقبلت بكل صبر وأناة مسودات هذا الكتاب واحدة بعد الأخرى، وعملت دون كلل على إجراء التعديلات والبحث عن المراجع وتحديثها وتنظيمها ثم إعادة تنظيم هذه العملية برمتها. لقد حافظت لوري على إبقاء عملية تأليف هذا الكتاب والمؤلفين على المسار الصحيح وبروح مرحة، كما ندين بالشكر الجزيل لميليسا نيكولاوس Melissa Nicholaus على التزامها الاستثنائي وبروح وصبر مماثلين.

كان المجلس الاستشاري المرجع الرئيس لنا للتعليقات والآراء والنقد البنّاء، وكنا على قناعة أكيدة بأننا نستطيع الاعتماد على هذا المجلس في تقديم أعلى جودة ممكنة من الفكر والعون، فكان لما قدموه من مداخلات شأن كبير في تحسين هذا الكتاب. لذلك فنحن نتوجه بالشكر إلى كل من راسل إدغرتون Russel Edgerton وكي ماك كليني Kay McClenney وكاتي سبوهر Kathy Spoehr وتيرنس ماك تاغارت Terrence MacTaggart وبلندا ويلسون Blenda Wilson وراي هاندلان Ray Handlan. وقد أفدنا كثيراً من خبرة عدد من الخبراء والقراء كانت آراؤهم ذات نفع كبير. من أجل هذا نشكر على وجه الخصوص كلاً من ديفيد كيرب David Kirp وبوب ديكسون Bob Dickeson ولورا فرايد Laura Freid وإيلين ليبرمان Ellen Liberman.

ولا يفوتنا أن نذكر عدداً من الطلبة الخريجين وغير الخريجين الذين قدموا لنا العون في بحوثنا خلال تلك السنوات. فقد أضفوا على فريقنا الكثير من الحماس والعاطفة والعمل الدؤوب. فنقدم تقديرنا إلى كل من اليسون ليف Alison Leff، وميراندا شين Miranda Chen وكريستي هتشنسون Kristi Hutchinson وكارين دوليتز Karen Dulitz وجو ماك غراث joe McGrath وبولين لوترباخ Pauline Lauterbach وجيمي أولسون Jamie Olson وميلينا إيفانوفا Milena Ivanova وناتاشا لويس Natasha Lewis وفيلكس لو Felix Lo وأنجالي نيغالايي Anjali Nigalaye وإليزابث برايس Elisabeth Preis وراشيل سيلبرمان Rachel Silbermann وجيمي كروك Jamie Crook وكيفن نوفل Kevin Novell واليكس كارب Alex Carp وادواردو أريلانو Eduardo Arellano وكارولين فرانك Caroline Frank. كما يستحق منا كل الشكر الخاص عدد من

الطلبة الذين عملوا معنا أثناء العمل الفعلي لتأليف هذا الكتاب، وهم: بريا كاريابا Priya Cariappa وثيلاكشاني دياز Thilakshani Dias وكريستين سنكلير Kristin Sinclair وكاثي باكوياغ Kathy Bacuyag ونابيما ميتشل

Nyema Mitchell. وأخيراً نتقدم بالشكر إلى أفراد عائلاتنا الذين لم يضنوا علينا بالعطف والدعم والصبر. فلهم منا كل تقدير وعرفان.

فرانك نيومان
مدينة بروفيدنس، رود آيلاند
نيسان / أبريل 2004

المؤلفون

• **فرانك نيومان Frank Newman**، رائد في مجال التربية والتعليم في أمريكا لما يزيد عن ثلاثين عاماً. كان مديراً لـ «مشروع المستقبل: انتهاج سياسة للتعليم العالي في عالم متغير» كما كان له أيضاً مناصب أكاديمية، فقد عمل أستاذاً زائراً في جامعة براون Brown حيث درّس السياسات العامة وعلم الاجتماع، وأستاذاً زائراً في جامعة كولومبيا حيث درّس في كلية المعلمين.

يحمل شهادة الدكتوراه في التاريخ من جامعة ستانفورد Stanford ودرجة ماجستير علوم في الأعمال من جامعة كولومبيا ودرجة بكالوريوس علوم في الهندسة من جامعة براون وبكالوريوس آداب في العلوم البحرية والاقتصاد من جامعة براون.

في شهر تموز/يوليو عام 1999 اعتزل منصبه كرئيس لمفوضية التعليم في الولايات Education Commission of the States بعد أن شغل هذا المنصب لأربعة عشر عاماً. تعد هذه المفوضية مؤسسة وطنية غير ربحية وغير حزبية تقدم العون لحكام الولايات وأعضاء المجالس التشريعية وغيرهم من قادة التربية والتعليم في الولايات بهدف تطوير وتطبيق السياسات التي من شأنها تحسين مستوى التعليم. شغل الدكتور نيومان منصب رئيس جامعة رود آيلاند Rhode Island للفترة ما بين 1974-1983، ثم أصبح زميلاً رئاسياً لمؤسسة كارنيجي لتحسين التعليم.

ألف عدداً من الكتب في التعليم العالي نذكر منها

(Report on Higher Education (1971 و Higher Education and the American Resurgence (1985).

وكتاب Choosing Quality: Reducing Conflict between the State and the University (1987).

وتوفي في شهر أيار/مايو عام 2004.

• **جيمي سكاري Jamie E.Scarry**، باحثة مشاركة لدى «مشروع المستقبل: انتهاج سياسة للتعليم العالي في عالم متغير.» تركز في أعمالها على جودة تعلم الطلبة ودور التقنية في تحسين أصول التدريس وقضايا العدالة والإنصاف تشجيع وإتاحة الفرص المفيدة للطلبة من ذوي الدخل المحدود والطلبة الملونين والطلبة غير التقليديين للاستمرار والنجاح في إتمام دراستهم للحصول على الشهادة. لها مؤلفات عديدة حول هذه الموضوعات نذكر منها مقالة بعنوان «Online Technology Pushes Pedagogy to the Forefront"

نشرت في مجلة Chronicle of Higher Education (July 2001)

ومقالة بعنوان In Jeopardy... New England's Reputation in the Higher Education المنشورة في مجلة Connection

عام 2002 ومقالة ثالثة بعنوان «Dealing with *US News* College Rankings" وقد نشرت (في مجلة Providence Journal في أيلول/سبتمبر عام 2002) والمقالة «Access and Attainment Building Block" (وزارة التربية والتعليم الأمريكية عام 2003) وهي مرشحة لنيل شهادة الماجستير في الحضارات الأمريكية من جامعة براون. كما عملت قبل ذلك في جامعة Wake Forest وكلية Stonehill.

• **لارا ك.كوتوريير Lara K. Couturier** هي المدير المشارك ومدير البحوث في «مشروع المستقبل: انتهاج سياسة للتعليم العالي في عالم متغير» بجامعة براون. بالإضافة إلى عملها في هذا المشروع، تعد الآن لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ من جامعة براون حيث تركز اهتمامها البحثي على نقاط الالتقاء بين الأعراق والسياسات في التاريخ الأمريكي. تحمل شهادة الماجستير من كلية التربية بجامعة هارفارد، إضافة إلى شهادة البكالوريوس من جامعة ريتشموند Richmond، وهي زميلة مشاركة في المركز الوطني للسياسات العامة والتعليم العالي. أجرت في مرحلة سابقة بحوثاً لصالح مشروع هارفارد بخصوص تعيين أساتذة الجامعات. كما عملت مستشاراً

ومديراً للتسويق العالمي لدى شركة أندرسون للاستشارات. تتضمن مؤلفاتها عدداً من المقالات منها:

Balancing Autonomy and Accountability in Higher Education

وقد نشرت في كتاب

Double the Numbers: Postsecondary Attainment and Underrepresented Youth

(2004, Harvard Education Press).

ومقالة بعنوان Balancing State Control with Society's Needs

التي نشرت في مجلة Chronicle of Higher Education, June 27, 2003

ومقالة The New Competitive Arena: Market Forces Invade the Academy

(وكانت بمشاركة فرانك نيومان)، ونشرت في مجلة Change (Sep/Oct. 2001)